سورة الرعد
بسم الله الرحمن الرحيم
المر تلك ءايت الكتب والذى أنزل إليك من ربك الحق
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿١﴾ الله الذى رفع السموت بغير
عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل
يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الءايت لعلكم بلقاء
ربكم توقنون ﴿٢﴾ وهو الذى مد الأرض وجعل فيها روسى
وأنهرا ومن كل الثمرت جعل فيها زوجين اثنين يغشى اليل
النهار إن فى ذلك لءايت لقوم يتفكرون ﴿٣﴾ وفى الأرض
قطع متجورت وجنت من أعنب وزرع ونخيل صنوان
وغير صنوان يسقى بماء وحد ونفضل بعضها على بعض
فى الأكل إن فى ذلك لءايت لقوم يعقلون ﴿٤﴾
وإن تعجب فعجب قولهم أءذا كنا تربا أءنا لفى خلق
جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلل
فى أعناقهم وأولئك أصحب النار هم فيها خلدون ﴿٥﴾
٢٤٩

سورة الرعد

معانى الكلمات :

بغير عمد : بغير دعائم وأعمدة تقيمها .

يدبر الأمر : يصرف العوالم كلها بقدرته وحكمته .

مد الأرض : جعلها منبسطة .

رواسى : جبالا ثوابت .

زوجين : نوعين وصنفين .

قطع : بقاع مختلفة الطبائع والصفات .

نخيل صنوان : نخلات يجمعها أصل واحد .

الأغلال : الأطواق من الحديد .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نؤمن بوجود الله تعالى ووحدانيته .

٢ ـ أن نتعرف على مظاهر قدرته تعالى . فى الأرض والإنسان .

٣ ـ أن نعلم أن من مقتضيات القدرة بعث الناس ومرجعهم إلى الخالق .

المحتوى التربوى :

تبدأ السورة بقضية عامة من قضايا العقيدة : قضية الوحى بهذا الكتاب ، والحق الذى اشتمل عليه ، وتلك هى قاعدة بقية القضايا من توحيد لله ، ومن إيمان بالبعث ، ومن عمل صالح فى الحياة ، فكلها متفرعة عن الإيمان بأن الأمر بهذا هو الله ، وأن هذا القرآن وحى من عنده سبحانه إلى رسوله ﷺ .

وتقدم الكلام عن الحروف الواقعة فى أوائل السور بما يغنى عن الإعادة وصياغة القرآن من مادة هذه الأحرف دلالة على أنه من وحى الله ، لا من عمل مخلوق كائنًا من كان ، ويكون قوله : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ ومراداً به القرآن كله ، أى هو الحق البالغ فى اتصافه بهذه

الصفة ، فالقرآن كله حق ، وهو منزل من الله على محمد ﷺ ، ومع هذا فإن أكثر الناس لا يؤمنون بأن هذا القرآن من عند الله أنزله على محمد عبده ورسوله ﷺ.

ويبدأ السياق فى استعراض آيات القدرة ، وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق وحكمته وتدبيره ، الناطقة بأن من مقتضيات هذه الحكمة أن يكون هناك وحى لتبصير الناس ، وأن يكون هناك بعث لحساب الناس ، وأن من مقتضيات تلك القدرة أن تكون مستطيعة بعث الناس ورجعهم إلى الخالق الذى بدأهم ، وبدأ الكون كله قبلهم ، وسخره لهم ليبلوهم فيما آتاهم .

ويخبر سبحانه عن كمال قدرته وعظيم سلطانه وأنه الذى بقدرته رفع السموات عن الأرض ارتفاعا لا ينال ولا يدرك مداه ، والسموات أيا كان مدلولها وأيا كان ما يدركه الناس من لفظها فى شتى العصور معروضة على الأنظار ، هائلة ـ ولا شك ـ حين يخلو الناس إلى تأملها لحظة ، وهى هكذا لا تستند إلى شىء مرفوعة بغير عمد مكشوفة ترونها ، وهذه هى اللمسة الأولى فى مجال الكون الهائل وهى بذاتها اللمسة الأولى للوجدان الإنسانى ، وهو يقف أمام هذا المشهد الهائل يتملاه ، ويدرك أنه ما من أحد يقدر على رفعها بلا عمد ـ أو حتى بعمد ـ إلا الله .

ومن هذا المنظور الهائل الذى يراه الناس إلى المغيب الهائل الذى تتقاصر دونه المدارك ، والأبصار ، ثم استولى عليه بالحفظ والتدبير أو استوى أمره ، أو أقبل على خلق العرش ، وهو يُمرُّ كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ، وهى لمسة فى العلو المطلق إلى جانب اللمسة الأولى فى العلو المنظور .

ومن هذا الاستعلاء المطلق إلى التسخير ، تسخير الشمس والقمر ، وتسخير العلو المنظور للناس على ما فيه من عظمة أخاذة ، فذللها لما أراد منها من نفع العالم السفلى ، وكل يجرى لغاية معينة ينقطع دونها سيره ، وهو قيام الساعة ، والاقتصار على الشمس والقمر ؛ لأنهما أظهر الكواكب وأعظم من غيرهما ، فتسخير غيرهما يكون بطريق الأولى ، والأمر كله على هذا النحو من التدبير الذى يسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، ومن تدبير الأمر أنه يفصل الآيات وينظمها وينسقها ، ويعرض كلاً منها فى حينه ، ولعلته ، ولغايته ، وهذا التدبير والتقدير والإحكام ، ذلك كله يوحى بأن لابد من عودة إلى الخالق بعد الحياة الدنيا ؛ لتقدير أعمال البشر ومجازاتهم عليها ، فذلك من كمال التقدير الذى توحى به حكمة الخلق الأول عن حكمة وتدبير .

وبعد ذلك يهبط الخط التصويرى الهائل من السماء إلى الأرض فيرسم لوحتها العريضة الأولى، والخطوط العريضة فى لوحة الأرض هى مد الأرض وبسطها أمام النظر وانفساحها على مداه ، لا يهم ما يكون شكلها الكلى فى حقيقته ، إنما هى مع هذا ممدودة مبسوطة فسيحة ، ثم يرسم خط الرواسى الثوابت من الجبال ، وخط الأنهار الجارية فى الأرض ، ومما يناسب هذه الخطوط الكلية ما تحتويه الأرض من الكليات ، وما يلابس الحياة فيها من كليات كذلك ،

وتتمثل الأولى فيما تنبت الأرض من كل صنفين اثنين كالحلو والحامض ، والأسود والأبيض ، والصغير والكبير ، ليفيد كل صنف فائدة غير فائدة الآخر ، فكان كل صنف نعمة بعد الإنعام بأصول الأصناف .

وتتمثل الثانية فى ظاهرتى الليل والنهار متعاقبين ، هذا يغشى ذاك فى انتظام عجيب ، هو ذاته مثار تأمل فى مشاهد الطبيعة ، والنظام الدقيق الذى لا تتخلف معه دورة الفلك هو بذاته كذلك مثار تأمل فى ناموس هذا الكون ، وتفكير فى القدرة المبدعة التى تدبره وترعاه وهذا كله آيات باهرة لقوم يتفكرون فيستدلون بأن تكوين ما ذكر على هذا النمط البديع لابد له من قادر حكيم.

وهناك فى الأرض بقاع مختلفة يجاور بعضها بعضاً ، مع أن هذه طيبة تنبت ما ينتفع به الناس ، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئاً ، وفيها بساتين كثيرة من العنب ، وفى هذه البقاع أنواع الزروع والحبوب ، والنخيل منها ما ينبت منه من أصل واحد (نخلتان فأكثر) ومنها ما ينبت من نخلة واحدة ، والكل يسقى بماء واحد ، والتربة واحدة ، ولكن الثمار مختلفة الطعوم ، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار ، الذى بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد .

فى قوله تعالى : ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ **يقول صاحب الظلال** : « من منا لم يذق الطعوم مختلفات فى نبت البقعة الواحدة ، فكم منا التفت هذه اللفتة التى وجه القرآن إليها العقول والقلوب ؟ إنه بمثل هذا يبقى القرآن جديدًا أبدًا ، لأنه يجدد أحاسيس البشر بالمناظر والمشاهد فى الكون والنفس ، وهى لا تنفد ولا يستقصيها إنسان فى عمره المحدود ، ولا تستقصيها البشرية فى أجلها الموعود » .

ثم يخاطب الله عز وجل النبى ﷺ بأنك إن كنت تعجب من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم من الصادقين ، فأعجب منه تكذيبهم بالبعث ، والله تعالى لا يجوز عليه التعجب لأنه تغير النفس بشىء تخفى أسبابه والذى خلق هذا الكون قادر على إعادة الأناسى فى بعث جديد ، إنما هو الكفر بربهم الذى خلقهم ودبر أمرهم وإنما هى أغلال العقل والقلب ، فالجزاء هو الأغلال فى الأعناق ، والجزاء هو النار خالدين فيها .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ القرآن الكريم هو الحق الذى لا يحتمل الشك والتردد .

٢ ـ الكون وما فيه يشهد على وجود الخالق المبدع الحكيم ، وكل الأحياء تتألف من ذكر وأنثى .

٣ ـ الله تعالى قادر على إحياء الإنسان بعد موته لمحاسبته ومجازاته .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ
الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ۖ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾
٢٥٠

معانى الكلمات :

المثلات : العقوبات الفاضحات لأمثالهم .

آية : معجزة .

ما تغيض الأرحام : ما تنقصه أو تسقطه .

سارب : ذاهب فى طريقه ظاهرًا .

معقبات : ملائكة يعقب بعضهم بعضا .

من وال : من ناصر .

السحاب الثقال : المحملة بالماء والمثقلة به .

شديد المحال: المكايدة أو القوة أو العقوبة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على موقف الكافرين المستهزئين بالرسول وإنذاره مستعجلين نزول العذاب .

٢ ـ أن نعلم بعض مظاهر قدرة الله عز وجل فى البرق والسحاب والرعد .

٣ ـ أن نؤمن أن دون تغيير للنفس لا يطمع الإنسان بأحسن ، ودون تغيير لأنفس الأمة لا تطمع الأمة بأحسن .

المحتوى التربوى :

هؤلاء القوم الذين يعجبون من أن يبعثهم الله خلقا جديداً وعجبهم هذا هو العجب ، هؤلاء يستعجلونك أن تأتيهم بعذاب الله بدلا من أن يطلبوا هدايته ويرجو رحمته ، وكما أنهم لا ينظرون فى آفاق الكون ، وآيات الله المبثوثة فى السماء والأرض ، فهم لا ينظرون إلى مصارع الغابرين الذين استعجلوا عذاب الله فأصابهم ، وتركهم مثلة يعتبر بها من بعدهم .

وهم فى غفلة حتى عن مصائر أسلافهم من بنى البشر ، وقد كان فيها مثل لمن يعتبر ، والله بعباده رحيم حتى وإن ظلموا فترة ، يفتح لهم باب المغفرة ليدخلوه عن طريق التوبة ، ولكن يأخذ بعقابه الشديد من يصرون ويلجون ، ولا يلجون من الباب المفتوح ، والسياق يقدم هنا

مغفرة الله على عقابه ، فى مقابل تعجل هؤلاء الغافلين للعذاب قبل الهداية ، ليبدو الفارق الضخم الهائل بين الخير الذى يريده الله لهم ، والشر الذى يريدونه لأنفسهم .

ثم يمضى السياق فى التعجيب من أمر القوم ، الذين لا يدركون كل تلك الآيات الكونية ، فيطلبون آية واحدة ينزلها الله على رسوله ، آية واحدة والكون حولهم كله آيات ، إنهم يطلبون خارقة ، والخوارق ليست من عمل الرسول ولا اختصاصه إنما يبعث بها الله معه حين يرى بحكمته أنها لازمة والرسول ﷺ ما هو إلا منذر ومحذر ومبصر ، وقد بعث الله الرسل للأقوام للهداية ، أما الآيات الخارقة فأمرها إلى مدبر الكون والعباد .

وتبدأ جولة جديدة فى الأنفس والمشاعر والأحياء ، ويذهب الخيال يتتبع كل أنثى فى هذا الكون المترامى الأطراف ، كل أنثى ، كل أنثى فى الوبر والمدر فى البدو والحضر ، فى البيوت والكهوف والمسارب والغابات، ويتصور علم الله مطلا على كل حمل فى أرحام هذه الإناث ، وعلى كل قطرة من دم تغيض أو تزداد فى تلك الأرحام ، وكل شىء عند الله بقدر وحدٍّ لا يجاوزه حسب قابليته ، وقد خص الله كل مكوَّن بوقت وحال معينين ، وهيأ لوجوده وبقائه أسبابا مسوقة إليه تقتضى ذلك ، ويذهب الخيال يتتبع كل هامس وكل جاهر ، وكل مستخف وكل سارب ظاهر . فى هذا الكون الهائل ، ويتصور علم الله يتعقب كل فرد من بين يديه ومن خلفه ، ويقيد عليه كل شاردة وكل واردة آناء الليل وأطراف النهار ، والحفظة من الملائكة التى تتعقب كل إنسان ، وتحفظ كل شاردة وكل واردة وكل خاطرة وكل خالجة ، والتى هى من أمر الله لا يتعرض لها السياق هنا بوصف ولا تعريف أكثر من أنها ﴿ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ فلا نتعرض نحن لها : ما هى ؟ وما صفاتها ؟ وكيف تتعقب ؟ وأين تكون ؟ ولا نذهب بجو الخفاء والرهبة والتعقب الذى هو المقصود هنا وقد جاء التعبير بقدره .

ويلوح السياق بوعيد شديد وإنذار رهيب قاطع ، بأنه إذا انحرف الآخذون بالدين والمنتمون إليه عن جادته المستقيمة ، ومالوا مع الأهواء ، وتركوا التمسك بآدابه وسننه القويمة ؛ حل بهم ما ينقلهم إلى المحن والبلايا ، ويفرق كلمتهم ، ويوهى قوتهم ويسلط عليهم عدوهم .

قال القاشانى :لابد فى تغيير النعم إلى النقم من استحقاق جلى أو خفى .

يقول صاحب الظلال : « وإنها لحقيقة تلقى على البشر تبعة ثقيلة ؛ فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم ، والنص صريح لا يحتمل التأويل ، وهو يحمل كذلك ـ إلى جانب التبعة ـ دليل التكريم لهذا المخلوق الذى اقتضت مشيئة الله ، أن يكون هو بعمله أداة التنفيذ لمشيئة الله فيه » .

وبعد تقرير هذا المبدأ يبرز السياق حالة تغيير الله ما بقوم إلى السوء ؛ لأنهم ـ حسب المفهوم من الآية ـ غيروا ما بأنفسهم إلى أسوأ فأراد لهم الله السوء .

ثم يأخذ السياق فى جولة جديدة فى واد آخر تجتمع فيه مناظر الطبيعة ومشاعر النفس ، وتخيم عليه الرهبة والضراعة والجهد والإشفاق ، ولما خوف تعالى العباد بإنزال ما لا مرد له ، أتبعه ببيان آيات قدرته وقهره وجلاله .

والبرق والرعد والسحاب مشاهد معروفة ، وكذلك الصواعق التى تصاحبها فى بعض الأحيان ، وهى بذاتها مشاهد ذات أثر فى النفس وسواء عند الذين يعرفون الكثير عن طبيعتها والذين لا يعرفون عن الله شيئا ، والسياق يحشدها هنا ، ويضيف إليها الملائكة والظلال والتسبيح والسجود والخوف والطمع ، والدعوة الحق الدعاء الذى لا يستجاب .

ويضم هيئة أخرى : هيئة ملهوف يتطلب الماء ، باسطا كفية ليبلغه فاتحا فاه يتلقف منه قطرة ، هذه كلها لا تتجمع فى النص اتفاقا أو جزافا ، إنما تتجمع لتلقى كلها ظلالها على المشهد ، وتلفه فى جو من الرهبة والترقب ، والخوف والطمع فى سياق تصوير سلطان الله المتفرد بالقهر والنفع والضر ، نفيا للشركاء المدعاة ، وإرهابا من عقبى الشرك بالله .

ويخبر الله تعالى أنه هو الذى يسخر البرق ، وهو ما يرى من النور اللامع ساطعا من خلل السحاب ، خوفا للمسافر يخاف أذاه ومشقته ، وطمعاً للمقيم يرجو بركته ومنفعته ، ويطمع فى رزق الله ، والله عز وجل هو كذلك الذى ينشئ السحاب الثقال بالماء ، فوفق ناموسه فى خلقه هذا الكون وتركيبه تتكون السحب ، وتهطل الأمطار .

والرعد الظاهرة الثالثة لجو المطر والبرق ، والرعد هذا الصوت المقرقع المدوى ، ويرسل الصواعق نقمة ينتقم بها ممن يشاء ، ولهذا تكثر فى آخر الزمان ، ويكمل جو الرهبة .

والعجيب أنه فى هول البرق والرعد والصواعق ، وفى رحمة تسبيح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وزمجرة العواصف بغضبه ، فى هذا الهول ترتفع أصوات بشرية بالجدل فى الله صاحب كل هذه القوى ، وباعث كل هذه الأصوات التى ترتفع على كل جدال وكل محال والله شديد الأخذ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - من رحمة الله تعالى بعباده أنه لم يعجل بعقابهم كما طلبوا .

٢ - إن الله لا يغير أحوال قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

٣ - لا يخفى على الله شىء وكل شىء عنده بمقدار وبأجل .

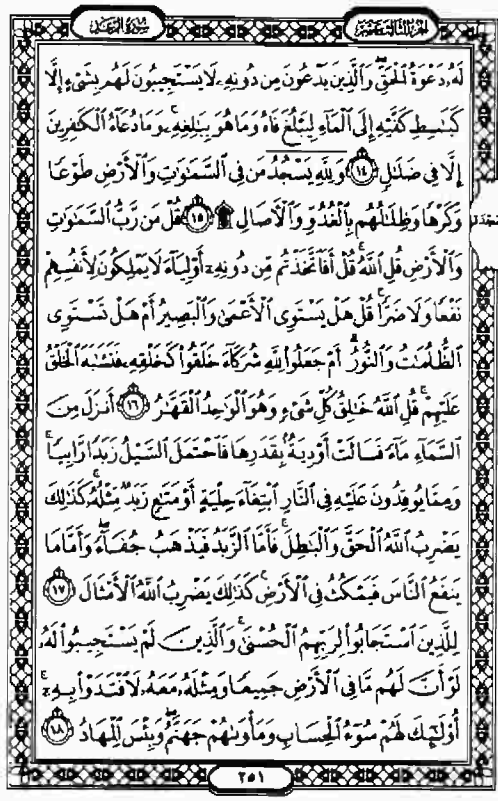
لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ
لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾
٢٥١

معانى الكلمات :

دعوة الحق : كلمة التوحيد .

لله يسجد : لأمره تعالى ينقاد ويخضع .

الغدو : أول النهار ، جمع غدوة .

الآصال : آخر النهار ، جمع أصيل .

زبداً : هو الغثاء (الرغوة) الطافى عند إذابة المعادن .

جفاء : مرميا به مطروحا أو متفرقا .

بئس المهاد : بئس الفراش والمستقر جهنم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعرف أن دعوة الله هى الحق ، وكل المخلوقات تسجد لله طوعا وكرها .

٢ ـ أن نؤمن بأن الله وحده هو مالك كل شىء .

٣ ـ أن نتيقن أن الحق هو الباقى فى الأرض والباطل ما يلبث أن يذهب ويزول .

المحتوى التربوى :

يذكر السياق أن دعوة الله هى وحدها الحق ، وما عداها باطل ذاهب ، لا ينال صاحبه منه إلا العناء ، والمشهد هنا ناطق متحرك جاهد لاهف ، فدعوة واحدة هى الحق ، وهى التى تحق ، وهى التى تستجاب ، إنها دعوة الله والتوجه إليه والاعتماد عليه وطلب عونه ورحمته وهداه ، وما عداها باطل وما عداها ضائع ، وما عداها هباء ألا ترون حال الداعين لغيره من الشركاء ؟

انظروا هذا واحد منهم ، ملهوف ظمآن يمد ذراعيه ويبسط كفيه ، وفمه مفتوح يلهث بالدعاء ، يطلب الماء ليبلغ فاه فلا يبلغه ، وما هو ببالغه بعد الجهد واللهفة والعناء ، وكذلك دعاء الكافرين بالله الواحد حين يدعون الشركاء ، وفى أى جو لا يبلغ هذا الداعى اللاهف

اللاهث قطرة من ماء ؟ فى جو البرق والرعد والسحاب الثقال ، التى تجرى هناك بأمر الله الواحد القهار .

وفى الوقت الذى يتخذ هؤلاء الخائبون آلهة من دون الله ، ويتوجهون إليهم بالرجاء والدعاء إذ كل من فى الكون يعنو لله ، وكلهم محكومون بإرادته ، خاضعون لسنته، مسيرون وفق ناموسه، المؤمن منهم يخضع طاعة وإيمانا، وغير المؤمن يخضع أخذاً وإرغاما ، فما يملك أحد أن يخرج على إرادة الله ، ولا أن يعيش خارج ناموسه الذى سنه للحياة ، فلا ينقاد لجلاله وإرادته وتصريفه المكونات بأسرها من أهل الملأ الأعلى والأسفل طائعين وكارهين ، وكذا تنقاد له تعالى ظلالهم حيث تنصب على مشيئته فى الامتداد والتقلص والفيء والزوال .

وفى جو هذا المشهد العجيب يتوجه إليهم بالأسئلة التهكمية ، فما يجدر بالمشرك بالله فى مثل هذا الجو إلا التهكم، وما يستحق إلا السخرية والاستهزاء ، ويقرر الله تعالى أنه لا إله إلا هو ؛ لأنهم معترفون بأنه هو الذى خلق السموات والأرض ، وهو ربها ومدبرها ، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم ، وأولئك الآلهة لا تملك لأنفسها ، ولا لعابديها بطريق الأولى نفعا ولا ضراً ، فهل يستوى من عبد هذه مع الله ، ومن عبد الله وحده لا شريك له ، فهو على نور من ربه ؟

يقول صاحب الظلال : « والفرق بين الحق والباطل واضح : وضوح الفارق بين الأعمى والبصير ، وبين الظلمات والنور ، وفى ذكر الأعمى والبصير إليهم وإلى المؤمنين ، فالعمى وحده هو الذى يصدهم عن رؤية الحق الواضح الجاهر الذى يحس بأثره كل من فى السموات والأرض.

ثم نمضى مع السياق يضرب مثلاً للحق والباطل للدعوة الباقية والدعوة الذاهبة مع الريح للخير الهادئ والشر المتنفج ، والمثل المضروب هنا مظهر لقوة الله الواحد القهار ، ولتدبير الخالق المدبر المقدر للأشياء ؛ فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع ، وبالمعدن الذى ينتفعون به فى صوغ الحلى منه واتخاذ الأوانى والآلات المختلفة ، وأن ذلك ماكث فى الأرض باق بقاء ظاهراً ، يثبت الماء فى مناقعه ويسلك بعضه فى عروق الأرض إلى العيون والقنى والآبار .

وكذلك المعدن يبقى أزمنة متطاولة ، وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله ، وانسلاخه عن المنفعة ، بزبد السيل وخبث المعدن ، فإنه ـ وإن علا وارتفع وانتفخ إلا أنه أخيراً يضمحل ، وكذلك الشبهات والتمويهات الزائفة قد تقوى وتعظم ، إلا أنها فى الآخرة تبطل وتضمحل وتزول ، ويبقى الحق ظاهراً لا يشوبه شىء من الشبهات ؛ لأنه لا بقاء إلا للنافع وما تصارع الحق والباطل ، إلا وفاز الحق بقرنه .

وقال **النسفى** : « قال الجمهور : وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب، والحق والباطل، فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للأبدان والأدوية للقلوب ، ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه ، والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان ، والماء الصافى المنتفع به مثل الحق ، فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء ، كذلك تذهب هواجس النفس ويبقى الحق كما هو .

وأما حلية الذهب والفضة فمثل للأحوال السنية والأخلاق الزكية ، وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للأعمال الممدة بالإخلاص المعدة للخلاص ، فإن الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب ، كما أن تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب ، وبعضها آلة الدفع فى الحرب ، وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل » .

وإنزال الماء من السماء حتى تسيل به الوديان يتناسق مع جو البرق والرعد والسحاب الثقال ويؤلف جانبا من المشهد الكونى العام المذكور فى السورة ، وهو كذلك يشهد بقدرة الواحد القهار ، وأن تسيل هذه الأودية بقدرها كل بحسبه ، وكل بمقدار طاقته ومقدار حاجته يشهد بتدبير الخالق وتقديره لكل شىء .

والذى ورد فى الآية كما يقول **صاحب الظلال** : « مثل الحق والباطل فى هذه الحياة فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابيا طافيا ، ولكنه بعد زبد أو خبث ، ما يلبث أن يذهب جفاء مطروحا لا حقيقة له ولا تماسك فيه ، والحق يظل هادئا ساكنا ، وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات، ولكنه هو الباقى فى الأرض كالماء المحيى والمعدن الصريح ينفع الناس ، ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ ، وكذلك يقرر مصائر الدعوات ، ومصائر الاعتقادات ، ومصائر الأعمال والأقوال ، وهو الله الواحد القهار المدبر للكون والحياة ، العليم بالظاهر والباطن ، والحق والباطل والباقى والزائل .

فمن استجاب لله فله الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له يلاقون من الهول ما يود أحدهم لو ملك ما فى الأرض ومثله معه أن يفتدى به ، وما هو بمفتد ، إنما هو الحساب الذى يسوء ، وإنما هى جهنم لهم مهاد وبالسوء المهاد !

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ المشركون الذين يعبدون مع الله آلهة غيره لا ينتفعون بهم أبداً فى الدنيا ولا فى الآخرة .

٢ ـ كل شىء فى ملك الله خاضع لسلطانه، يسجد له طوعا من المؤمنين وكرها من الكافرين .

٣ ـ الحق الثابت باق نافع مثمر ؛ والباطل زائل لأنه حقير لا قيمة له ولا دوام .

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ
﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ
أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾
٢٥٢

معانى الكلمات :

يتذكر : يتعظ .

ابتغاء : طلب .

يدرؤون : يدفعون ويجازون .

عقبى الدار : عاقبتها المحمودة وهى الجنات .

سوء الدار : عاقبتها السيئة وهى النار .

يقدر : يضيقه على من يشاء لحكمة .

متاع : شىء قليل ذاهب زائل .

أناب : رجع بقلبه إلى الله .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن المؤمن يبصر ويعلم ويعمل ، والكافر ميت أعمى لا يعلم ولا يعمل .

٢ ـ أن نعلم أن الغنى والفقر يقعان حسب علم الله تعالى امتحانا وابتلاء .

٣ ـ أن نعرف فضل ذكر الله وسكون القلب إليه .

المحتوى التربوى :

بعد المشاهد الهائلة فى آفاق الكون وفى أعماق الغيب ، وفى أغوار النفس يأخذ السياق فى لمسات وجدانية وعقلية وتصويرية حول قضية الوحى والرسالة ، وقضية التوحيد والشركاء ، ومسألة طلب الآيات واستعجال تأويل الوعيد .

ويبدأ السياق بلمسة فى طبيعة الإيمان وطبيعة الكفر ، فالأول علم والثانى عمى . وفى طبيعة المؤمنين وطبيعة الكافرين والصفات المميزة لهؤلاء وهؤلاء ، فالمقابل لمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك هو الحق ليس هو من لا يعلم ، إنما المقابل هو الأعمى ، وهو أسلوب عجيب فى لمس القلوب وتجسيم الفروق ، وهو الحق فى الوقت ذاته لا مبالغة فيه ولا زيادة ولا تحريف ، فالعمى وحده هو الذى ينشئ الجهل بهذه الحقيقة الكبرى الواضحة التى لا تخفى إلا على أعمى ،

والناس إزاء هذه الحقيقة الكبيرة صنفان : مبصرون فهم يعلمون ، وعمى فهم لا يعلمون ، والعمى عمى البصيرة وانطماس المدارك، واستخلاق القلوب،وانطفاء قبس المعرفة فى الأرواح ، وانفصالها عن مصدر الإشعاع، ويتعظ بمثل هذه المقارنة الذين لهم عقول وقلوب مدركة تذكر بالحق فتتذكر ، وتنبه إلى دلائله فتتفكر .

ويصف الله تعالى أصحاب العقول والقلوب المدركة بأنهم يوفون بعهد الله ، وعهد الله مطلق ـ يشمل كل عهد ، وميثاق الله مطلق يشمل كل ميثاق ، والعهد الأكبر الذى تقوم عليه العهود كلها هو عهد الإيمان ، والميثاق الأكبر الذى تتجمع عليه المواثيق كلها هو ميثاق الوفاء بمقتضيات هذا الإيمان وتترتب على العهد الإلهى والميثاق الربانى كل العهود والمواثيق مع البشر، سواء مع الرسل أو مع الناس ، ذوى قرابة أو أجانب ، أفراداً أم جماعات ، فالذى يرعى العهد الأول يرعى سائر العهود ، وهذه هى القاعدة الضخمة الأولى التى يقوم عليها بنيان الحياة وكله يقررها فى إجمال ؛ فكل ما أمر الله به أن يوصل يصلونه ، فهى الطاعة الكاملة والاستقامة الواصلة ، والسير على السنة ووفق الناموس بلا انحراف ولا التواء .

ويلمح عجز الآية إلى الشعور المصاحب فى نفوسهم لهذه الطاعة الكاملة ، فهى خشية الله ومخافة العقاب الذى يسوء فى يوم لقائه الرهيب ، وهم أولو الألباب الذين يتدبرون الحساب قبل يوم الحساب ، وهم الصابرون .

يقول صاحب الظلال : « والصبر ألوان ، وللصبر مقتضيات ، صبر على تكاليف الميثاق من عمل وجهاد ودعوة واجتهاد .. إلخ ، وصبر على النعماء والبأساء ، وقل من يصبر على النعمة فلا يبطر ولا يكفر ، وصبر على حماقات الناس وجهالاتهم ، وهى تضيق الصدور .. وصبر وصبر وصبر كله ابتغاء وجه ربهم ، لا تحرجاً من أن يقول الناس : جزعوا ، ولاتجملا ليقول الناس : صبروا ، ولا رجاء فى نفع من وراء الصبر ، ودفعا لضر يأتى به الجزع، ولا لهدف واحد غير ابتغاء وجه الله ، والصبر على نعمته وبلواه ، صبر التسليم لقضائه والاستسلام لمشيئته والرضا والاقتناع .. » .

وإقامة الصلاة داخلة فى الوفاء بعهد الله وميثاقه،ولكنه يبرزها ؛لأنها الركن الأول لهذا الوفاء ، ولأنها مظهر التوجه الخالص الكامل لله ، ولأنها الصلة الظاهرة بين العبد والرب الخالصة له ليس فيها من حركة ولا كلمة لسواه.

والإنفاق سرا وعلانية فرضا ونفلا داخل فى وصل ما أمر الله به أن يوصل ، وفى الوفاء بتكاليف الميثاق ، ولكنه يبرزها ؛ لأنها الصلة بين عباد الله ، التى تجمعهم فى الله وهم فى نطاق الحياة ، والتى تزكى نفس معطيها من البخل ، وتزكى نفس آخذها من الغل ، وتجعل الحياة فى المجتمع المسلم لائقة بالبشر المتعاونين المتضامنين الكرام على الله ، وفى الإنفاق سراً وعلانية ،

السر حيث تصان الكرامة وتطلب المروءة ، وتتحرج النفس من الإعلان ، والعلانية حيث تطلب الأسوة وتنفذ الشريعة ويطاع القانون ، ولكل موضعه فى الحياة .

وأولو الألباب يقابلون السيئة بالحسنة فى التعاملات اليومية لا فى دين الله ، ومقابلة السيئة بالحسنة تكسر شره النفوس ، وتوجهها إلى الخير ، وتطفئ جذوة الشر وترد نزغ الشيطان ، ومن ثم تدفع ـ السيئة فى النهاية،ودرء السيئة بالحسنة يكون غالبا فى المعاملة الشخصية بين المتماثلين، فأما فى دين الله فلا ، وهؤلاء لهم عاقبة الدنيا وهى الجنة لأنها مرجع أهلها ، وهى جنات إقامة يخلدون فيها ، ويجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين ؛ لتقر أعينهم بهم ، حتى إنه لترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتنانا من الله وإحسانا ، تدخل عليهم الملائكة من هاهنا وهاهنا للتهنئة بدخول الجنة ، وبما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام ، والإقامة فى دار السلام فى جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام .

ويذكر الله تعالى حال الأشقياء وصفاتهم ، وذكر مآلهم فى الدار الآخرة ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون،وهم المبعدون المطرودون ولهم الطرد ،وسوء العاقبة وجهنم وبئس القرار .

وهؤلاء المبعدون فرحوا بالحياة الدنيا ومتاعها الزائل،فلم يتطلعوا إلى الآخرة ونعيمها المقيم، مع أن الله هو الذى يقدر الرزق فيوسع فيه أو يضيق ، فالأمر كله إليه فى الأولى والآخرة على السواء ، ولو ابتغوا الآخرة ما حرمهم الله متاع الأرض وهو الذى أعطاهم إياه ، ويحكى السياق طلب المشركين من النبى ﷺ أن تكون له آية كناقة صالح أو عصا موسى ليؤمنوا به والله يضل من يشاء إضلاله ، ويهدى إلى الحق وطريق الإسلام من رجع إلى الله بالتوبة والإقلاع عما كان عليه .

أما المؤمنون فقلوبهم تطمئن بإحساسها بالصلة بالله ، والأنس بجواره ، وهذا الاطمئنان فى تلك القلوب حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم فاتصلت بالله ، يعرفونها ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها ؛ لأنها لا تنقل بالكلمات إنما تسرى فى القلب .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ لا يعتبر بالقرآن ولا ينتفع بمواعظه إلا أهل الإيمان ، وأصحاب العقول الصحيحة السليمة .

٢ ـ الله سبحانه يقدر أرزاق عباده بحكمة وتدبير .

٣ ـ من آثار ذكر الله ـ تعالى ـ سكون النفس ، وطمأنينة القلب ، والرضا بالله مولى ونصيرا ، فعلى المسلم أن يكثر من ذكر الله ـ تعالى ـ فى جميع أحواله .

الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ
بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌۢ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟
لِلَّهِ شُرَكَآءَ ۚ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۚ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾
٢٥٣

معانى الكلمات :

طوبى لهم : عيش طيب لهم فى الآخرة .

مآب : مرجع .

ييأس : يعلم ويتبين .

قارعة : داهية تصيبهم بصنوف البلايا .

فأمليت : فأمهلت .

تنبئونه : تخبرون الله .

بظاهر من القول : بظن باطل لا حقيقة له .

واق : حافظ وعاصم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نؤمن بوعد الله تعالى للمؤمنين بحسن العاقبة .

٢ ـ أن نعلم فضل القرآن وعظمته .

٣ ـ أن نتعرف على موقف الكافرين من رسول الله ﷺ وسوء عاقبتهم .

المحتوى التربوى :

هؤلاء المنيبون إلى الله ، المطمئنون بذكر الله ، يحسن الله مآبهم عنده ، كما أحسنوا الإنابة إليه ، وكما أحسنوا العمل فى الحياة ، فلهم طوبى ، حال من الحسن الطيب يعجز البيان عن وصفها أو شجرة فى الجنة وحسن منقلب وهو الجنة دار السلام والنعيم المقيم ، وقيل : طوبى شجرة فى الجنة كل شجرة الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة ، وقال غير واحد من السلف : إن طوبى شجرة فى الجنة فى كل دار منها غصن منها .

أما أولئك الذين يطلبون آية فلم يستشعروا طمأنينة الإيمان ، فهم فى قلق يطلبون الخوارق والمعجزات ولست أول رسول جاء لقومه بمثل ما جئت به حتى يكون الأمر عليهم غريبا ، فقد

خلت من قبلهم الأمم ، وخلت من قبلهم الرسل ، فإذا كفروا هم فلتمض على نهجك ولتتوكل على الله .

والعجيب أنهم يكفرون بالرحمن ، العظيم الرحمة ، الذى تطمئن القلوب بذكره ، واستشعار رحمته الكبرى وما عليك إلا أن تتلو عليهم الذى أوحينا إليك ، فلهذا أرسلناك فإن يكفروا فأعلن لهم أن اعتمادك على الله وحده ، وأنك تائب إليه وراجع ، لا تتجه إلى أحد سواه ، وإنما أرسلناك لتتلو عليهم هذا القرآن ، ولو كان فى الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها ، أو تقطع به الأرض وتنشق ، أو تكلم به الموتى فى قبورها ، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره ، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك ؛ لما فيه من الإعجاز الذى لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ، ولا بسورة من مثله ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به ، جاحدون له ، ولله الأمر كله ، ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن .

فإذا كان قوم بعد هذا القرآن لم تتحرك قلوبهم ، فما أجدر المؤمنين الذين يحاولون تحريكها أن ييأسوا من القوم ، وأن يدعوا الأمر لله ، فلو شاء لخلق الناس باستعداد واحد للهدى ، فلهدى الناس جميعاً على نحو خلقة الملائكة لو كان يريد ، أو لقهرهم على الهدى بأمر قدرى منه ، ولكنه لم يرد هذا ولا ذاك ، لأنه خلق هذا الإنسان لمهمة خاصة يعلم سبحانه أنها تقتضى خلقته على هذا النحو الذى كان ، فليدعوهم إذن لأمر الله ، وبسبب تكذيب هؤلاء الكافرين لا تزال القوارع تصيبهم فى الدنيا ، أو تصيب من حولهم ليتعظوا ويعتبروا ، والله لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ، ولأتباعهم فى الدنيا والآخرة .

والأمثلة حاضرة ، وفى مصارع الغابرين عبرة بعد الإنظار والإمهال ، وفى هذا تسلية لرسول الله ﷺ وتعزية له فى تكذيب من كذّبه ، واقتراحهم عليه الآيات ، وقد أنظرهم الله وأجلهم ثم أخذهم .

قال النسفى : « وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله ﷺ استهزاء به وتسلية » فقد فهم النسفى إذن أن هذا ردّ على اقتراحهم المذكور فى بداية هذا المقطع ، فطلب الآية فيه التنقيص للرسول ﷺ والاستهزاء بصدقه ، ومن ثم لفت الله نظرهم إلى هذا ولفت نظرهم إلى ما أنزله الله من عقوبات بأمثالهم ليريهم خطأ هذا الذى هم عليه ، وأنه إن كانت سنته الإملاء ، فسنته بعد الإملاء الأخذ ، وفى ذلك تهديد ووعيد وردّ .

ثم تأتى الآية اللاحقة ، وفيها ذكر قيوميته تعالى ، وذكر استحقاقهم العقوبة بشركهم ، وذكر سنته فيمن يريد إضلاله ، وفى ذلك آيات لمريد الإيمان ، فالله سبحانه رقيب على كل نفس مسيطر

عليها على كل حال ، عالم بما كسبت فى السر والجهر ، ولتتصور كل نفس أن عليها حارسا قائما عليها مشرفا ، مراقبا يحاسبها بما كسبت ، ومن ؟ إنه الله فأية نفس لا ترتعد لهذه الصورة وهى فى ذاتها حق .

أفذلك كذلك ؟ ثم يجعلون لله شركاء ؟! هنا يبدو تصرفهم مستنكرا مستغربا فى ظل هذا المشهد المرهوب ، أفمن هو حفيظ عليه رقيب على كل نفس صالحة أو طالحة بما كسبت من خير أو شر لا تخفى عليه خافية هو كالأصنام التى يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها ، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها ؟

والأصنام التى عبدوها مع الله ، يقول سبحانه لنبيه ﷺ : أعلمونا بهم ، واكشفوا عنهم حتى يُعَرفوا فإنهم لا حقيقة لهم ، أم تنبئونه بشركاء لا يعلمهم فى الأرض ، وهو العالم بما فى السموات والأرض فإذا لم يعلمهم ، عُلِمَ أنهم ليسوا بشىء ، فالله تعالى لا تخفى عليه خافية ، أم أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة ، فأى سخف هذا السخف ؟ أن يعطى لشىء اسم ليس له حقيقة ، ويعامل على أساس أن اسمه حقيقة .

فالمسألة إذن أن هؤلاء كفروا وستروا أدلة الإيمان عنهم وستروا نفوسهم عن دلائل الهدى ، فحقت عليهم سنة الله ، وصورت لهم نفوسهم أنهم على صواب ، وأن مكرهم وتدبيرهم ضد الدعوة حسن وجميل ، فصدهم هذا عن السبيل الواصل المستقيم ، ومن تقتضى سنة الله ضلاله؛ لأنه سار فى طريق الضلال فلن يهديه أحد ؛ لأن سنة الله لا تتوقف إذا حقت بأسبابها على العباد .

والنهاية الطبيعية لهذه القلوب المتكسة هى العذاب ، إن أصابتهم قارعة فيها ، وإن حلت قريبا من دارهم فهو الرعب والقلق والتوقع ، وإلا فجفاف القلوب من بشاشة الإيمان عذاب ، وحيرة القلب بلا طمأنينة الإيمان عذاب، ومواجهة كل حادث بلا إدراك للحكمة الكبرى وراء الأحداث عذاب ، والمدخر مع هذا الخزى فى الدنيا أشق من هذا بكثير ، فإن عذاب الدنيا له انقضاء ، وذاك دائم أبداً فى نار هى بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفا ، ووثاق لا يتصور كثافته وشدته ، وهذا العذاب يتركه هنا بلا تحديد للتصور والتخيل بلا حدود ، وما لهم من الله من حافظ من عذابه ومن نكاله ، فهم معرضون بلا وقاية لما ينزله بهم من عذاب .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ القرآن الكريم مفضل على سائر الكتب وهو معجزة باقية إلى يوم القيامة .

٢ ـ لا توكل إلا على الله ولا توبة لأحد إلا إليه .

٣ ـ الله تعالى هو القائم على كل نفس فهو الإله الحق وما عداه باطل لا حقيقة له .

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا
جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾
٢٥٤

معانى الكلمات :

دائم : لا ينقطع .

مآب : المرجع .

ولى : ناصر .

واق : مانع من عذابه .

لكل أجل كتاب : لكل وقت حكم معين .

أم الكتاب : اللوح المحفوظ أو العلم الإلهى .

لا معقب لحكمه : لا راد ولا مبطل له .

عقبى الدار : العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على ما أعده الله تعالى للمؤمنين فى جنات النعيم ، وما توعد الله به المشركين بالعذاب الأليم .

٢ ـ أن نعلم أن القضاء والحكم فى الإسلام مصدره الأول القرآن الكريم ثم السنة لبيانها للقرآن .

٣ ـ أن نؤمن بانتصار الإسلام وانتشاره فى ظرف ربع قرن أكبر دليل على أنه حق .

المحتوى التربوى :

يصور السياق ما أعده الله تعالى للمؤمنين فى جنات النعيم ، فالمتقون الذين وقوا أنفسهم بالإيمان والصلاح فهم فى مأمن من العذاب ، بل لهم فوق الأمن الجنة التى وعدوها ، وهذه الجنة ثمرها دائم الوجود لا ينقطع ، وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس ، ففواكهها ومطاعمها ومشاربها ورَوْحها كل ذلك لا انقطاع ولا فناء ، وهذه الجنة الموصوفة عقبى المتقين ومنتهى أمرهم ، أما منتهى الكافرين فالنار .

ويمضى السياق مع قضية الوحى وقضية التوحيد معاً يتحدث عن موقف أهل الكتاب من القرآن ، ومن الرسول ﷺ ، ويبين للرسول أن ما أنزل عليه هو الحكم الفصل فيما جاءت به الكتب قبله ، وهو المرجع الأخير ، أثبت الله فيه ما شاء إثباته من أمور دينه الذى جاء به الرسل كافة ، ومحا ما شاء محوه مما كان فيها لانقضاء حكمته ، فليقف عند ما أنزل عليه ، لا يطيع فيه أهواء أهل الكتاب فى كبيرة ولا صغيرة ، أما الذين يطلبون منه آية ، فالآيات بإذن الله وعلى الرسول البلاغ .

إن الفريق الصادق من أهل الكتاب فى الاستمساك بدينه ، يجد فى هذا القرآن مصداق القواعد الأساسية فى عقيدة التوحيد ؛ كما يجد الاعتراف بالديانات التى سبقته وكتبها ، ودروسها مع الإكبار والتقدير ، وتصور الأصرة الواحدة التى تربط المؤمنين بالله جميعا ، فمن ثم يفرحون ويؤمنون ، والتعبير بالفرح هنا حقيقة نفسية فى القلوب الصافية ، وهو فرح الالتقاء على الحق ، وزيادة اليقين بصحة ما لديهم ومؤازرة الكتاب الجديد له ، ومن أحزابهم ـ وهم كفرتهم الذين يتحزبون ضد هذا الدين ـ من ينكر بعضه ويقر بعضه ، كما يفعل المبشرون والمستشرقون فى عصرنا ، لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم ، ولكنهم يجعلونه مستمداً من كتبهم ، وينكرون نبوة النبى عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع .

لله وحده العبادة ، وإليه وحده الدعوة ، وله وحده المآب ، وقد أمر الرسول ﷺ أن يعلن منهجه فى مواجهة من ينكر بعض الكتاب ، وهو استمساكه الكامل بكامل الكتاب الذى أنزل إليه من ربه ، سواء فرح به أهل الكتاب كله، أم أنكر فريق منهم بعضه ، ذلك أن ما أنزل إليه الحكم الأخير ، نزل بلغته العربية وهو مفهوم له تماما ، وإليه يرجع ما دام حكم الله الأخير فى العقيدة .

قال النسفى : « ومثل ذلك الإنزال أنزلناه ، مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده ، والدعوة إليه وإلى دينه ، والإنذار بدار الجزاء ، فإذا كان مضمون هذا الوحى كمضمون كل وحى سابق ، فكيف ينكر هذا الدين وكيف يكفر بهذا الرسول ، ثم ختم الله الرد الثالث بتثبيت الرسول ﷺ على الحق الموحى إليه ، وأن عليه ألا يبالى باقتراحاتهم وإنكارهم ومجادلاتهم ، فقال : ولئن اتبعت آراءهم بعد ما جاءك من العلم الثابت من الله المؤيد بالحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، مالك من الله من ناصر ينصرك ولا واق يقيك منه ، وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين ، وألا يزلزل المؤمن عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة ، وإلا فإن رسول الله ﷺ من شدة الثبات بمكان .

وإذا كان هناك اعتراض على بشرية الرسول ﷺ ، فقد كان الرسل كلهم بشراً ، وإذا كان الاعتراض بأنه لم يأت بخارقة مادية ، فذلك ليس من شأنه إنما هو شأن الله ووفق ما تقتضيه حكمته وعندما يشاء ، وإذا كان هناك خلاف جزئى بين ما أنزل على الرسول وما عليه أهل الكتاب ، فإن لكل فترة كتابا ، وهذا هو الكتاب الأخير ، فما انقضت حكمته يمحوه ، وما هو نافع يثبته ، وعنده أصل الكتاب المتضمن لكل ما يثبته وما يمحوه فعنه صدر الكتاب كله ، وسواء أخذهم الله فى حياة الرسول ﷺ بشىء مما أوعدهم ، أو توفاه إليه قبل ذلك ، فإن هذا لا يغير من الأمر شيئاً ، ولا يبدل من طبيعة الرسالة وطبيعة الألوهية » .

يقول صاحب الظلال : « وفى هذا التوجيه الحاسم ما فيه من بيان طبيعة الدعوة وطبيعة الدعاة ، إن الدعاة إلى الله ليس عليهم إلا أن يؤدوا تكاليف الدعوة فى كل مراحلها ، وليس عليهم أن يبلغوا بها إلا ما يشاؤه الله ، كما أنه ليس لهم أن يستعجلوا خطوات الحركة ، ولا أن يشعروا بالفشل والخيبة ، إذا رأوا قدر الله يبطئ بهم عن الغلب الظاهر والتمكين فى الأرض إنهم دعاة وليسوا إلا دعاة » .

ويد الله القوية البادية الآثار فيما حولهم ، فهى تأتى الأمم القوية الغنية حين تبطر وتكفر وتفسد ـ فتنقص من قوتها ، وتنقص من ثرائها ، وتنقص من قدرها ، وتحصرها فى رقعة من الأرض ضيقة بعد أن كانت ذات سلطان وذات امتداد ، وإذا حكم الله عليها بالانحسار فلا معقب لحكمه ، ولابد له من نفاذ ، وقد حكم الله لرسوله ﷺ ودينه بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس ، فلا أحد يستطيع أن يحول دون هذا ، ولقد كان هذا كله مما هو مذكور فى التاريخ من غلبة المسلمين على قلة العَدَد والعُدد ، واندحار الكفر على كثرة العَدَد والعُدد ، وحيث أقام المسلمون دينهم كان لهم هذا ، والله سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم فى الآخرة بعد عذاب الدنيا بتسليط المؤمنين عليهم بالقهر والغلبة .

وفى هذا السياق ـ سياق التبشير بانتشار الإسلام ـ يذكرنا الله عز وجل بالمكر الهائل الذى يقابل به أعداء الله هذا الدين ، فيبشر المؤمنين ويقوى ثقتهم به جل جلاله ، فقد مكر كفار الأمم الخالية بأنبيائهم ، والمكر : إرادة المكروه فى خفية ، ومكر الله بهم ، وإذا كان الأمر كذلك فمكرهم لا قيمة له ، ثم فسر سبحانه كيف أن المكر له فهو يعلم ما تكسب كل نفس فيوفيها جزاءها من حيث لا تحتسب وسيعلم الكفار لمن تكون العاقبة الحميدة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ فى الجنة من الفواكه والثمرات والأطعمة والمشروبات ما لا ينقطع ولا يفنى .

٢ ـ ظهور الإسلام على الشرك ، وتحقيق وعد الله ـ تعالى ـ للمؤمنين بنصره .

٣ ـ الله ـ تعالى ـ عالم : بجميع السرائر والضمائر ، وسيجزى كل عامل بعمله .

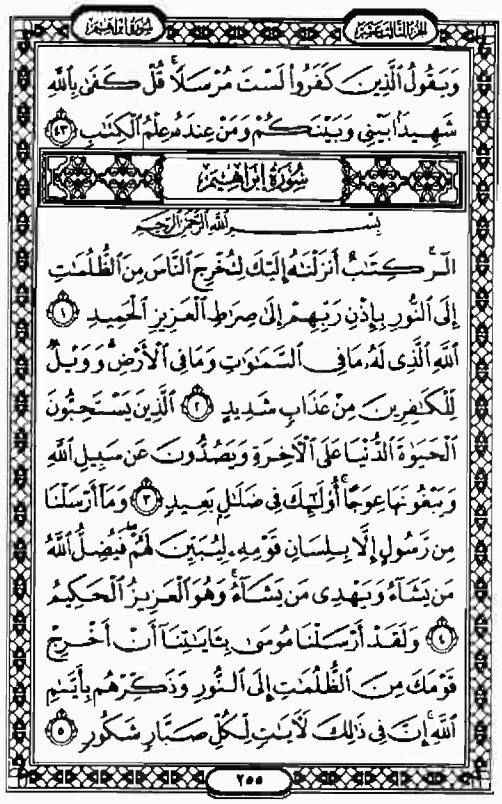

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾
ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ
ٱللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

معانى الكلمات :

بإذن ربهم : بأمره أو بتيسيره وتوفيقه لهم .

العزيز : الغالب أو الذى لا مثل له .

الحميد : المحمود .

ويل : هلاك أو حسرة أو واد فى جهنم .

تستحبون : يختارون ويفضلون .

يبغونها عوجا : يطلبونها ذات اعوجاج .

بلسان : بلغة .

بأيام الله : ما أصاب به الأمم السابقة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم وظيفة الرسول ﷺ ومن قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

٢ ـ أن نؤمن أن الله ـ تعالى ـ هو المالك لما فى السموات والأرض .

٣ ـ أن نتعرف على أيام الله تعالى فى الأمم السابقة .

المحتوى التربوى :

يختم الله عز وجل سورة الرعد بحكاية إنكار الكفار للرسالة ، وقد بدأها بإثبات الرسالة ، فيلتقى البدء والختام ، ويشهد الله مكتفيا بشهادته ، وهو الذى عنده العلم المطلق بهذا الكتاب وبكل كتاب ، وتنتهى السورة وقد طوفت بالقلب البشرى فى أرجاء الكون وأرجاء النفس ، وتركته بعد ذلك إلى شهادة الله والتى يحسم بها كل جدل ، وينتهى بعدها كل كلام .

سورة إبراهيم .

هذه السورة مكية ، موضوعها الأساس هو موضوع السور المكية الغالب : العقيدة فى أصولها الكبيرة : الوحى والرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء .